المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثاني والستين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٢٣ — الموافق ١٤ شعبان سنة ١٣٤١

كنوز الفراعنة

مضى اربعة اشهر والجرائد والمجلات والشركات التلغرافية في هذا القطر وغيره من الاقطار مشغولة كلها باخبار ما كُشف من الكنوز في مدفن توت عنخ امون . والناس خاصتهم وعامتهم في هذا القطر وجانب كبير من اوربا واميركا يتنسمون اخبار هذه الكنوز يوماً بعد يوم وقد قدم كثيرون الى مصر من قاصي البلدان ليشاهدوا ما كشف منها . ولم يكن توت عنخ امون اعظم ملوك مصر ولا من اعظمهم فلا يقاس بجميع اخناتون ولا بخوفو باني الهرم الاكبر وخفرع باني الهرم الثاني ولا بسنفرو باني هرم ميدوم ولا باحمس طارد ملوك الرعاة من مصر ولا بسنوسرت الاول ولا بابنه وعمنمحات الثاني ولا بغيرهم من الملوك العظام . أَوَلم يكن اولئك الملوك وذووهم حريصين على دفن كنوزهم معهم فكيف وجدت كنوز توت عنخ آمن ولم يوجد من كنوزهم في مدافنهم ما يقاس بها . والجواب على ذلك ان توت عنخ امون كان الاخير من بيته فدفنوا معهُ كل كنوزه ثم ان طلاب الكنوز جعلوا ينبشون القبور وينهبونها منذ اربعة آلاف سنة ولم يزل هذا دأبهم الى الآن واما مدفن توت عنخ امون فنجا اكثرهُ منهم

اطلعنا منذ شهر على مقالة في هذا الموضوع للدكتور بلاكمان Dr. A. M. Blackman ذكر فيها خلاصة ما جاء في بعض القراطيس المصرية القديمة عن نهب المدافن . فرأينا ان نقتطف منها ما يأتي ونشفعهُ بخلاصة ما ذكرهُ عبد اللطيف البغدادي الذي كان في بداءة القرن السابع الهجري

اعتمد الدكتور بلاكمان على قرطاس ابوت المحفوظ في المتحف البريطاني والقراطيس التي في متحف تورين وقراطيس مير وقرطاس امهرست والقراطيس

التي في متحف تورين وكلها مما دوّن في عهد الدولة العشرين اي قبل التاريخ المسيحي باثني عشر قرناً فقد كانت طيبة في ذلك العهد لا تزال قصبة المملكة المصرية وكانت مقسومة الى قسمين الواحد شرقي النيل حيث مدينة لقصر الآن والثاني غربيهُ حيث مدافن الملوك ولكل من القسمين حاكم خاص كالمحافظ في عصرنا

كان في القسم الشرقي اسواق التجار والهيكلان العظيمان هيكل لقصر ومعنى اسمهِ « المنتخب » وهيكل كرنك ومعنى اسمهِ « عرش القطرين » . وفي القسم الغربي مساكن الصناع والمحنطين ورجال الحكومة ومدافن الملوك وحرامها

في قرطاس ابوت ان حاكم القسم الشرقي كان اسمهُ بزر وحاكم القسم الغربي بيوارو وان الاثنين لم يكونا على اتفاق. وكانت سلطة مصر قد تقلصت عن املاكها في آسيا وساد الاضطراب فيها وبطل دفع الاجور لحراس المدافن فعضهم الجوع ولم يروا لهم بدًّا من نبش بعض القبور ونهب ما فيها وبيعهِ

هذه كانت الحال في السنة السادسة عشرة من ملك رعمسيس التاسع حينما كان بزر وبيوارو حاكمين في قسمي طيبة . فبلغ بزر ان قبور بعض الملوك والاعيان نبشت ونهبت فوجدها فرصة للانتقام من بيوارو خصمهِ حاكم القسم الغربي فشكاهُ الى الوزير خويس . فانكر بيوارو ذلك وطلب التحقيق واقامة البينة على ما اتُّهم بهِ فسمع الوزير احتجاج الخصمين وبعث باناس يبحثون ويحققون فذهبوا في الثامن عشر من شهر هاتور (٢٦ نوفمبر) ووجدوا ان كل قبور الاعيان والذين دونهم التي ذكرها بزر في الشكوى قد فتحت وهاك ترجمة النص الذي في القرطاس « اخرج اللصوص سكان القبور من توابيتهم واكفانهم وطرحوهم على الارض ونهبوا امتعتهم وآنية بيوتهم التي وضعت معهم وما على اكفانهم من الذهب والفضة والحلى » اما قبور الملوك فلم يعتدَ عليها كما قال بزر في شكواه لان لجنة التحقيق فتحت عشرة قبور منها فوجدت ان اللصوص نهبوا واحداً فقط وهو قبر الملك سبكمساف وزوجتهِ من ملوك الدولة الثالثة عشرة . وقد تمكن الحاكم بيوارو من القبض على الذين نهبوا هذا القبر وقدَّم كشفاً باسمائهم الى الوزير وهم ثمانية

وفي التاسع عشر من هاتور فحص الوزير امر هؤلاء اللصوص وتحقق كيف القوا ايديهم على جثتي الملك والملكة فاعترفوا بجنايتهم ووصفوا كيف دخلوا المدفن غرفة بعد غرفة الى ان وصلوا الى الغرفة التي فيها تابوت الملك والملكة وفتحوا

تابوت الملك ووصلوا الى جثته المحنطة وحول عنقها كثير من العود والحلى الذهبية وعلى رأسها كمة من الذهب والجثة كلها مغطاة بالذهب الجثتان كلاهما مشمولتان بالذهب المرصع بالحجارة الثمينة فنزعوا الذهب الذي وجدوهُ على جثة هذا الاله ونزعوا عوذها وحلاها التي حول عنقها والاكفان التي كانت مستريحة فيها . ثم فصّلوا كيف نزعوا ما على جثة الملكة من الحلى وحوقوا الاكفان للملك والملكة. ووجدوا مع جثة الملك والملكة آنية من الذهب والفضة والبرز فاخذوها

وفي ذلك اليوم عينهِ اي التاسع عشر من هاتور قام الوزير واعوانهُ وذهبوا الى قبور الملوك وحاولوا تمثيل الواقعة كما يفعل جفظة الامن الآن في القضايا الجنائية حسب القانون الفرنسوي. وكان بين الجناة نحّاس اسمهُ بخارو فاعترف انهُ دخل قبر الملكة ايسي زوجة رعمسيس الثالث وانهُ نهب منهُ بعض الاشياء فامر الوزير اعوانهُ ان يمسكوا عيني هذا الرجل ويقودوهُ الى قرب قبر هذه الملكة ثم يرفعوا العصابة عن عينيهِ ففعلوا وقالوا لهُ سر امامنا الى القبر الذي قلتَ انك دخلتهُ فسار الى قبر لم يدفن فيهِ احد ثم الى كوخ احد العمال وقال هنا القبر الذي دخلته. اما هم فلم يؤخذوا بذلك بل قالوا لعلّه يخادعنا فبالغوا في الفحص ولكنهم وجدوا انه لا يعرف غير المكانين اللذين دلّ عليهما اولاً وحلف بالملك انه لا يعرف غير القبر المفتوح والكوخ الذي دلّ عليهِ واذا كان حانثاً بيمينهِ فهو يرضى ان يجدع انفه وتصلم اذناه ويعذّب بالوهق . ولا نعلم ما تمّ من امرهِ

وقضى الوزير واعوانه النهار في فحص مدافن اخرى فوجدوها سليمة

وفي مساء ذلك اليوم جاء وفد من القسم الغربي الى القسم الشرقي بموكب كبير اعلاناً لبراءة القسم الغربي مما اتُّهم بهِ . وكان بزر حاكم القسم الشرقي قد مضى الى احد اصدقائهِ ومعه احد رجال الحكومة الذين ذهبوا في التحقيق فلما عاد الى بيته وجد رجال القسم الغربي امامهُ يعيرونهُ بفساد تهمتهِ فاغتاظ منهم وجعل يشتم رؤساءهم ويتهددهم وحلف بالملك يميناً مغلظة ان كاتبي الدافن هريشر وبيس اخبراهُ بخمس تهم عليهم يعاقب عليها بالموت وقال انهُ سيكتب عنها الى مولاه الملك ويرسل من يقبض عليهم

ووصل الخبر الى بيوارو حاكم القسم الغربي فكتب في العشرين من هاتور الى الوزير شاكياً من تهديد بزر له امام احد رجال الحكومة. ويلي ذلك كلام مسهب في

هذا الموسو . ثم وصف الكاتب اربع سرقات اخرى ومحاكمة السارقين وذكر بعض المسروقات وورانها من ذلك آنية من الفضة تزن ٣ دبنات اي نحو ٢٧٣ غراماً وآنية من الذهب تزن دبناً واحداً اي نحو ٩١ غراماً وعقداً من الذهب يزن ثمانية كتات اي ٧٢ غراماً وحللاً وثياباً اخرى وقال ان اللصوص فتحوا بعض الصناديق فوجدوا فيها ثياباً وآنية من النحاس والبرنز ونحو ذلك مما ينطبق وصفه على ما وجد الآن في مدفن توت عنخ امون

فيرى من ذلك ان نبش القبور ولاسيما قبور الملوك كان محرماً تمام التحريم لا يقدم عليه احد الاَّ عند الضرورة الشديدة وان اولياء الامر كانوا يعاقبون من يقدم عليه عقاباً صارماً لانهم كانوا يحترمون مدافن ملوكهم وعظائهم احتراماً دينياً كما كانوا يحترمون معابدهم. ودامت الحال على هذا المنوال الى ان تقلص ظل الديانة المصرية القديمة بعد انتشار النصرانية ثم زاد العبث بالمدافن والهياكل بعد الفتح بدليل ما ذكره عبد اللطيف البغدادي في اواخر القرن الثاني عشر (ولد سنة ٥٥٥ هجرية وتوفي سنة ٦٢٩) فانه قدم مصر ووصف آثارها وصفاً مسهباً يظهر منه انهُ كان لا يزال في ميت رهينة والمطرية كثير من التماثيل والهياكل قائماً في عظمته ولكن الناس كانوا آخذين في هدم المباني وتقطيع التماثيل حجارة للبناء وارحية للطحن وانهم كانوا ينبشون القبور لنهب ما فيها من الحلى والحلل . وقد اوردنا ذلك بالتفصيل في المجلد الثاني عشر من المقتطف في الكلام على « منف النابرة والحاضرة » وهاك بعض ما جاء فيه من كلام عبد اللطيف قال

«واما في زمننا هذا فترك الناس سدى وسرحوا هملاً وفوضت اليهم شؤونهم فتحركوا بحسب اهوائهم وجروا نحو ظنونهم واطماعهم وعمل كل امرء منهم على شاكلته وبموجب سجيته وبحسب ما تسوّل لهُ نفسهُ ويدعو اليه هواه فلما رأوا آثاراً هائلة راعهم منظرها وظنوا ظن السوء بمخابرها وكان جل انصراف ظنونهم الى معشوقهم واجلّ الاشياء في قلوبهم وهو الدينار والدرهم فهم كما قيل

وكل شيء رآهُ ظنه قدحاً وان رأى ظلّ شخص ظنه الساقي

« فهم يحسبون كل علم يلوح لهم انه علم على مطلب وكل شق مفطور في جبل انهُ يفضي الى كنز وكل صنم عظيم انهُ حامل لمال تحت قدميه وهو مهلك عليه فصاروا يعملون الحيلة في تخريبه ويبالغون في تهديمه ويفسدون صور الاصنام

افساد من يرجو عندها المال ويخاف منها اتلف ويتقيون الاحجار نقب من لا يتمارى انها صناديق مقفلة على ذخائر . ويسربون في فطور الجبال سروب متقصص قد اتى البيوت من غير ابوابها واتهز فرصة لم يشعر غيره بها . ومما يقوي اطماعهم ويديم اصرارهم انهم يجدون نواويس تحت الارض فسيحة الارجاء محكمة البناء وفيها من موتى القدماء الجم الغفير والعدد الكثير قد لُفّوا باكفان من ثياب القطن لعلهُ يكون على الميت منها زهاء الف ذراع وقد كفن كل عضو على انفراد كاليد والرجل والاصبع في قط دقاق ثم بعد ذلك تلف جثة الميت جملة حتى يرجع كالحمل العظيم . ومن كان يتتبع هذه النواويس من الاعراب واهل الريف وغيرهم يأخذ هذه الاكفان فما وجد فيهِ تماسكاً اتخذه ثياباً او باعه للورّاقين يعملون منه ورق القطارين . ويوجد بعض موتاهم في توابيت من خشب الجميز مُخين ويوجد بعضهم في نواويس من حجارة . وهؤلاء الموتى قد يوجد على جباههم وعيونهم وانوفهم ورق من الذهب كالقشر وربما وجد قشر من الذهب على جميع الميت كالغشاء وربما وجد عنده شيء من الذهب والحلى والجوهر وربما وجد عنده آلته التي كان يزاول بها العمل في حياته »

وقال قبيل ذلك في وصف هيكل من هياكل منف «وهذا البيت قد كان في هيكل عظيم مبني بحجارة عاتية جافية على اتقن هندام واحكم صنعة وفيها قواعد على عمد عظيمة وحجارة الهدم متواصلة في جميع اقطار هذا الخراب . وقد بقي في بعضها حيطان ماثلة بتلك الحجارة الجافية . وفي بعضها اساس وفي بعضها اطلال ورأيت عقد باب شاهقاً وكنتاه حجران فقط وأزجهُ حجر واحد قد سقط بين يديهِ . وتجد هذه الحجارة مع الهندام المحكم والوضع المتقن قد حفر بين الحجرين منها نحو شبر في ارتفاع اصبعين وفيهِ صدأ النحاس وزنجرته فعلمت ان ذلك قيود لحجارة البناء وتوثيق لها ورباطات بينها بان تجعل بين الحجرين ثم يصب عليه الرصاص وقد تتبعها الانذال والمحدودون فقلعوا منها ما شاء الله تعالى وكسروا لاجلها كثيراً من الحجارة حتى يصلوا اليها ولعمر الله لقد بذلوا الجهد في استخلاصها وابانوا عن تمكن من اللؤم وتوغل في الخساسة »

ودامت الحال على هذا المنوال حتى لم يبق من آثار مدينة اون (المطرية) مقر العلم والعلماء الا مسلّة ومن آثار منف عاصمة القطر المصري الا تمثالان . ونبشت اكثر المدافن ونهب ما فيها فاتلف بعضه ووصل البعض الآخر الى المتاحف